آيات وقصة

أصحاب الأيكة

أطفالنا في رحاب القرآن الكريم





رزق السيد هيبة



أطفالنا فى رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة
(٦٧)

أصحاب الأيكة

تأليف
رزق السيد هيبة

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥
٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أطفالنا أمانة غالية، نعمة الله، أمرنا بالحفاظ عليهم، ورعايتهم بالتربية السليمة..

وهذه السلسلة ..

ـ تُربى أولادَنا تربيــة إسلاميَّــةً تعتمـدُ عَلَى هُدًى من كِتـابِ الله «القرآنِ الكريم» تعـرِضُ القصصَ عـلى حسَبِ ترتيـبِ المصْحَفِ لتكوِّنَ فـى النهايةِ «التـفـسيـر القصَصىَّ للقرآنِ الكريـمِ للناشئينَ» وهمْ فى حَاجَةٍ ماسَّةٍ إلى هذا التـفسير الذى يَصِلُهمْ بماضيهم العريقِ، ويعدُّهُمْ لحاضِرِهم ومُستَقْبلِهِمْ.

ـ وفى هذهِ الطَّبْعَةِ الجَديدَةِ حَرصْنَا أنْ تكون الفائدةُ أكبَر، فقدَّمنا فى آخرِ كلِّ قصَّةٍ ملحقًا مِنْ شقَّيْنِ.. الشقُّ الأوَّلُ: عدَّةُ أَسْئلَةٍ تَحْفزُ القَارئَ عَلَى أنْ يُعيدَ القراءَةَ ويتأمَّلَ القصَّـةَ جَيدًا ليجيبَ عن هذه الأسـئلَةِ، فتستقـرَّ المعانى فى ذهْنِه، ويزيد عِلْمًا بما فيها مِن قِيمةٍ دينيةٍ هى الثمرةُ التى نرجُوهَا من نشْرِ هذهِ القصَصِ.

ـ أما الشقُّ الثانى من الملْحَقِ: فهو دُروسٌ فى قواعدِ اللغةِ العربيَّةِ «عِلم النَّحو» إذا تَتبَّـعها القَارئُ دَرْسًا بَعْـدَ درسٍ من بدايةِ السِّلْسلةِ إلَى آخرِهَا يَصِـيرُ عَلَى عِلْمٍ بالحدِّ الأَدْنَى مِنْ قَواعدِ النحوِ التى لا يَنْبَغِى لقارئٍ أَنْ يجـهَلَهَا، فيستقيمَ لسَانُهُ، وتسلَمَ قراءَتُهُ مِنَ اللَّحْنِ والخَطأِ...

وبهذه القـصَص وما يَتْبَـعُهَا من دُرُوسٍ فى اللغَـةِ نكونُ قَد حصـلْنَا عَلَى فائدة مزْدوَجة، مِنْ قيمٍ دينيةٍ ومعرفَةٍ بقواعدِ لغتنا، وَهوَ مَا يَنْبَغِى أنْ نُرَبِّىَ عَلَيْهِ أجْيالَ أبْنائنَا القَادمة.. فنستعيدَ مَجْدَ الماضِى لنبنىَ علَى أُسُسِه حَضَارَةَ المُسْتَقْبَلِ.

﴿ ربَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجْعَلْنَا للمتقين إمَامًا ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٧٧)
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ
(١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا
فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا
أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦)
فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا
تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
(١٨٩) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٩٠) ﴾ [الشعراء]

معاني الكلمات :

١- الأَيكةُ: هى الشجرُ الكثيرُ الملتَفُّ، وَاحدهُ أَيْكَة.

٢- ألاَ تَّتقونَ: ألاَ تخافُـونَ اللَّهَ تعالَى فتكونُوا عَادلينَ فى مُعَامَلاَتكُمْ؟

٣- المخسرينَ: الذين ينقصُونَ الكيلَ والوزْنَ فتكونُ الخسارَةُ علَى من يتعامَلُ معَهمْ.

٤- القسْطَاس المسْتقيم: الميزانُ العادلُ الذى يعُطِى كلَّ ذى حَقٍّ حقَّهُ.

٥- لاَتَعْثَـوْا فى الأرض مُفْسدين: لاَ تـسيرُوا فى الأرضِ بالفَسَـادِ، لأنَّ ما تفَعلُونَهُ هو قمةُ الفَساد.

٦- الجبلَّةَ الأَوَّلينَ: الخليقَةُ الأُولَى، والأَجْيالُ الَّتى سبَقَتكُمْ.

٧- المسَحَّرينَ: الذينَ يأكلُونَ ويَشربُـونَ، أو الذَّينَ أصَابَهَمْ سِحْرٌ فكَانُوا مِنَ المَجانينَ.

٨- كسَفًا منَ السَّماء: قطعًا من السماء فيهَا العذابُ الَّذى تَعدُنَا به.

٩- عَذابُ يومِ الظُّلَّةِ: سَحابَةٌ كالمِظَلَّةِ، ولكنَّها أَسْقَطَتْ عَليهِمْ نَارًا دَمَّرَتْهُم.



اجْتَمعَت الأسرةُ كَعادتها كلَّ ليلة وبَعدَ أَن اسْتَقرُّوا في جِلْسَتِهِمْ خَاشعِينَ مُتواضعِينَ، بَدأُوا بتلاوَة آيَات مِنْ سُورة الحِجْر تَلاهَا أَشْرَفُ بصَوْته الرَّخيم، وبَعدَ أَنْ خَتَمها قَالَ الوَالدُ: تَقَبَّلَ اللَّهُ منكَ يَاولَدى مَاتَلَوْتَ، وبَارَكَ فيكَ، ثُمَّ الْتفتَ إِلَى أيَمنَ وقَالَ لهُ: لعلَّكَ تَعرفُ يَاأيْمنُ آيات أُخَر فِى القُرآنِ الكَريم تُعطِينَا مَعَانِىَ الآيَاتِ نَفْسهَا الَّتى تَلاهَا أَشْرَفُ.

قَالَ أَيْمَنُ: نَعَمْ يَاوَالِدِى، هُنَاكَ آيَاتٌ فِى المعْنَى نَفْسِهِ فِى سُورةِ الشُّعَراءِ، وإذَا أَذِنَ لِى الوَالِدُ تَلَوْتُهَا.

قَالَ الْوَالِدُ: ابَدأْ باسِم اللَّهِ، وأَسْمِعْنا هَذهِ الآيَاتِ الْكَرِيمَةَ.

وَبدَأَ أَيْمنُ تلاوَتَهُ مستعيذًا بالله منَ الشَّيطَانِ الرَّجيمِ، وأَتبعَ الاستعاذَةَ:

بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ.

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٩٠) ﴾ [الشعراء]

قَالَ الوالِدُ: صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ، وبلَّغَ رَسولُهُ الكرِيمُ، ونَحنُ عَلَى ذَلكَ مِنَ الشَّاهدِينَ.

قَالَ أَشْرَفُ: أَلاَتُلاَحظونَ أنَّـهُ فى إِحْدَى سَهرَاتِنَا السَّابِقَـةِ، تَلَوْنَا مثْلَ هَذه الآيَاتِ مِنْ سُورَةِ الأَعْرافِ وَمِنْ سُورَةِ هُودٍ، وكَانتْ تَقُصُّ عَلَيْنَا قِصَّةَ شُعيبٍ علَيهِ السَّلامُ، وَهَا نَحْنُ أُولاءِ نَعودُ إِليْـهَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، أَليسَ ذَلِكَ تكرارًا لجلساتِنَا، ولقـصةٍ قُلناهَا مِنْ قَبْلُ.

قَالَ الوَالِدُ: مَهْلاً يَا أَشْرَفُ، إنَّ اللهَ تعَالَى قَدْ ذَكَـرَ قصةَ شُعَيْبٍ فِي عِدةِ سُورٍ مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ، سَوَاءٌ بالتَّـفصيلِ أَم بالإجْمالِ، وَفِى كلِّ مـرةٍ يكونُ التكرَارُ لحكمةٍ رُبَّما لإِعَادةِ التَّذكيرِ بأمـرِمُهمٍّ يَنبغى اجْتنَابُهُ مثل تِلكَ الصِّفَاتِ الَّتى كانَ عَليـهَا قَوْمُ شُعيبٍ، وَربمَا لزِيادَةٍ فى القِصَّـةِ أرَادَ اللهُ أنْ يَفْصِلَهَا عَنِ الآيَاتِ السَّابِقَـةِ لَئلاَّ تتدَاخل مَعَـانيها، وَهَذَا مَاسَنَرَاهُ فِي قِصَّةِ شُعَيْبٍ مَعَ أَصْحَابِ ٱلأَيْكَةِ.

ولقدْ كانتْ مدينُ هى المدينةُ التى وُلِدَ فيها شـعيبٌ علَيه السلامُ، وفيها عاشَ بَيْنَ أَهْلِهِ وَقَوْمِهِ، ولَذلكَ كَانَ القُرآنُ الكَـريمُ عندمَا يذكُرُ مدينَ يقُولُ: ﴿**وإِلَى مَدينَ أَخاهُمْ شعيبًا**﴾ يَعنى هُوَ أَخوهُمْ ومِنْهمْ، أَمَّـا عِنْدمَا ذكَرَ أَصْحَابَ الأيْكةِ فـقدْ قَالَ: ﴿**إِذْ قَالَ لَهُمْ شُـعَـيْبٌ**﴾ فَلَمْ يَقُلْ أَنَّهُ أَخُـوهمْ، وَلا أَنَّهُ منْهُمْ، وإِنَّمـا هُوَ دَاعٍ إِلَى اللهِ أَرسَلَهُ ربُّه إِليهِمْ مِن قَومٍ غُربَاءَ عَنْهمْ، وَإِنْ كَانُوا قَرِيبينَ مِنْهمْ فِي الزَّمانِ وَالمكاَنِ.

قالتْ إِيمانُ: إِذَنْ، لَقَدْ أرسَلَ اللهُ شُعيْبًا عَليهِ السَّلامُ مَرَّتَيْنِ، مرةً إِلَى أَهْلِ مدين، ومرَّةً إِلَى أَصْحَابِ الأَيْكَةِ؟

قَالَ الوَالِدُ: هذَا صَحِيحٌ، وكَانَ اللهُ يُرسِلُ النَّبِى إِلَى قـومِهِ خَاصَّةً، وربَما أَرسَلَ اثْنيْنِ مِنَ الأَنْبيـاءَ فِى زَمنٍ وَاحدٍ إِلَى قَـوْمَيْنَ مُخْـتلفَيْنِ، كَمَـا اجتمعَ سـيِّدُنَا إبراهيمٌ، وسـيدُنَا لوطٌ فى زَمنٍ وَاحـدٍ، ولكنْ فى بلَدينِ، كُلُّ مِنهـمَـا فِى بلَدٍ، وكَانَتْ دعـوةُ

إبَراهيمَ عليْه السَّلامُ أوْسـعَ منْ دَعوةِ لُوطٍ، فَقدْ كانَ رحَّـالةً من العِراَقِ إلَى الشَّام إلَى مِصْـرَ، إلَى الحجازِ فى أرضِ فَارانَ الَّـتى هِىَ مكَّة الآنَ، عِندمَا تركَ فِيـهَا ولَدَهُ الطِّفلَ إسمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ وأمَّهُ هَاجَر المصْريةَ.

قَالَ أشْرفُ: إنَّ الآيةَ التى معَنَا تقُولُ ﴿ **كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦)** ﴾ ومَعْنَى ذَلكَ أَنَّ هنَاكَ مرْسلِينَ، قَبْل شُعَيبٍ عَليهِ السَّلامُ أَوْ بعدَهُ أَرسَلهمُ اللهُ تَعالَى إلَى أَصْحابِ الأيْكةِ.

قَالَ الوَالِدُ: لاَ.. لَقـدْ كذَّبَ أَصْحـابُ الأيْكةِ شُعَيـبًا علَيـهِ السَّلامُ، والتكذِيبُ لِنَبِىٍّ واحِدٍ هُوَ تكذيبٌ للـرُسلِ جميعًـا، لأَنَّ جميعَ الأنْبـياءِ مُرسلَوَنَ منَ اللهِ سبُـحَانَهُ وتعَالَى، وجمـيع الأنْبياءِ كَانُوا يقـولُونَ لأقْوامِهِمْ: ﴿**اعْبُدوا اللهَ مَـالكمْ منْ إله غَيْرُهُ**﴾ وَالقُرآنُ الكَرِيمُ يُقرِّرُ هذه الحقِيقَةَ، فيقُولُ اللهُ تَعالَى فِى سُورَةِ البَقَرةِ: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بمَا أُنْزِلَ إلِيْهِ منْ رَبِّهِ وَالمؤْمنـونُ كُلٌّ آمَنَ بالله وَمَلائكتَهِ وَكُـتُبهِ وَرُسُلِهِ لا نفـرق بين أحدٍ من رسله وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾.

وَيُخْبِرُنَا الْقُـرآنُ الكَرِيمُ بأَنَّ اللهَ قَدْ شَرَعَ لَنَا مِنَ الدِّينِ مَا شَرَعَ لِلأَنْبـيَاءِ مِنْ قَبْلُ، فَالآيَةُ (١٣) مِنْ سُورَةِ الشُّورَى تَقُولُ ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣)**﴾.

فالإله سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاحِـدٌ، وَالدِّينُ الَّذى جَاءَ بِه الْأَنْبِيَـاءُ جَمِيعًـا وَاحِدٌ، هُوَ الْإِسْلاَمُ، وَإِنْ كَانَ اسْمُ الدِّين قَد اخْتَلَف بحَـسَبِ الْأنْبيَاء الَّذِينَ جَاءُوا بِهِ مِنَ اللهِ، إلاَّ أَنَّهُ فِى حَقِيـقَتِهِ وَجَوْهَرِهِ هُوَ الإِسْلامُ الَّذِى مَـعْنَاهُ الخضُوعُ وَالخشُـوعُ وإسلامُ الوَجْهِ لِلَّهِ

رَبِّ العَالمينَ، وَعندمَا يـقُولُ القُرآنُ الكَرِيمُ ﴿**إنَّ الدِّينَ عنْدَ الله الإسْلاَمُ**﴾ فَلَيْسَ المقْصُودُ بذلك رِسَالَةَ مُحمـد صلَّى اللَّهُ عَليه وَسلَّمْ فَقَطْ، وَإِنَّما المقْصُودُ هُوَ أَنَّ الأنْبِيـاء جَميعًا كَانُوا يَدْعُونَ إِلىَ إسْلاَمِ المرءِ نفَـسهُ قَلْبًا ورُوحًا وَعملاً وفِكرًا، وَجَـاءَ محمدٌ صلَّى اللَّهُ عَليهِ وَسلَّمْ،فَلَم يُسَمِّ الدِّيـنَ بِاسْمِهِ، وَإِنَّما سَـمَّاهُ بالاسْمِ الَّذى أَرَادَهُ اللهُ مُنْذُ خَلَقَ آدَمَ عليهِ السَّلامُ إِلَى أَنْ تَقومَ السَّاعَةُ، وكَثِيرٌ مِنَ الأَنـبِيَاءِ عَبَّرُوا عَنْ خُضُوعِهمْ لِلَّهِ بِقَولِهِم: ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.

وَتَوقَّفَ الوَالِدُ ليتنَاولَ جُرعةَ ماءٍ، ثمَّ اسْتَأْنَفَ الحدِيثَ فقَالَ:

- لقـد اسْتطَردنَا فِى ذِكـرِ هَذهِ المعَانـى، وَلَكنَّه كانَ اسْـتطرَادًا ضَرُورِيًّا، ولأنَّهـا حَقائقُ منَ الوَاجِبِ عَلَيْكمْ أَنْ تَعـرِفوهَا، وَأَنْ يَعرِفَها شَبَـابُ المسْلمِينَ، وَقصَص القُرآن الكَرِيم إنَّما وَردَتْ لتُعلِّمنا ذلكَ، سَواءٌ أصَـحابُ الأيْكة أَمْ أَهْلُ مدْينَ أَمْ غيرُ ذلك منَ القصَصِ القُرآنى، كُلهُّا تَقُولُ لَنَا: اعْبدُوا اللهَ مَالكُمْ مِنْ إِلهٍ غيرُهُ، وآمِنوا بهؤلاء الرُّسلِ الَّذينَ أَرسلَهمُ الله جَميعًا، وتَجنَّبـوُا هَذهِ الرَّذائلَ التى كانَ يَفْعلُها أَقْوامُ هَؤلاءِ الرُّسلِ، ثُمَّ إِيَّاكمْ إِيَّاكمُ أَنْ تكُونُوا مِثلَ أصحابِ الأيكَةِ، فَيصيبكمْ مَا أَصَابَهُمْ.

قال أيمنُ: وَنعودُ إِلَى شُعيبٍ عليهِ السَّلامُ وَ أَصْحابِ الأيْكةِ.

قَالَ الوالِدُ: أَجَلْ يَابُنىَّ لَقدْ آنَ الحديثُ عَنْ أَصـحابِ الأيكَةِ، وَلَكَىْ نَعرِفَ قِصةَ شُعَيْب علَيـهِ السَّلامُ كُلَّها نَعودُ إِلَى بَعضِ مَاعـرفْنَاهُ منَ قَبلُ فِى سهرَاتِنا السَّابِقـةِ، فَقدْ كَانَ أَهْلُ مدين قومًا عربًا يَسْكُنونَ مَدينَتهمْ مَدينَ، وَقَدْ سُمِّيتْ هذه المدينةُ «مدينَ» وَهو اسمُ مدينَ بن إبراهيم، كما يقولُ بعضُ المفسرِّينَ، وكَانَ أَهلُهَا منْ أَسوأ النَّاسِ مُعامَلَةً، يَبْخَـسونَ المكْيالَ والميزَانَ ويُطَفِّـفُونَ فيهَـما، يَأْخُذونَ منَ النَّاسِ بمَا يزيدُ عنْ حَـقِّهم، ويَدْفعُونَ لَهمْ بِمَا يَنقُصُ عنِ الحقِّ، فكانُوا مِنَ المطففين الَّذينَ ذَكرَهُمُ اللهُ تعالَى بِقَولِه:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾ .

وكـمَـا ترونَ فـإنَّ الإنسـانَ الذى يَبـخسُ النَّاسَ أشـيـاءَهُمْ ولاَ يُعـامِلُهم بِالحقِّ وَالصِّدقِ، كأَنهُ لاَ يُؤمنُ بأنَّ لهذَا الكَوْن إلهًا سَيُميتُـهُ ثُمَّ يحييه، ثُمَّ يبعَثُهُ لِيومِ الحسابِ والجزَاءِ، فَينالُ مَا يَسْتَحِقُّهُ **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** .

هكذَا كَانَ أَهْلُ مَـدْينَ، فَأَرْسلَ اللهُ فـيهمْ رَجُلاً مِنهمْ هُوَ أَخُـوهمْ شُعَـيْبٌ عليَه السَّلامُ، دَعـاهُم إِلَى عِبادَةِ اللهِ وَحدَهُ لاَشـرِيكَ لَهُ، وَنَهاهُمْ عَنْ تَعاطِى هَذِه الأَفَـاعيلِ القَبيحَةِ، مِنْ بَخْسِ النَّاسِ أَشْيَاءَهُمْ، وَإِخَافَـتِهِمْ فِى طُرُقَاتِهِمْ، فَآمنَ بِهِ بَعضُهُمْ، وكفر به أكثرهُمْ، حَتَّى أحلَّ اللهُ بهمُ البأْسَ الشَّديدَ.

وَفِى الزَّمنِ الْقَدِيمِ كَـانَ الرَّسولُ- كَمَا قُلْنَا مُـنذُ قلَيلٍ- يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِه خَـاصَّةً، وَرُبَّما قَامتْ دَعْوتُهُ بَعدَ الأَمْرِ بتَوحِيد اللهِ وعدَمِ الإِشْراكِ بِه، إِلَى نَبْذِ خَبِيئةٍ مُعَيَّنةٍ يَشتهرُ بها قَومُهُ، فمِنْ قَـبْلِ شُعَيْبٍ عليهِ السَّلامُ، كَانَ هُنَاكَ قَوْمُ لُوطٍ،وكَانُـوا يَشتهِرُونَ بإِتْيانِ الْفَاحِشَـةِ الَّتى مَاسَبَقَـهمْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ العَالَمِينَ، كَـذلكَ كَانَ أَهْلُ مَدينَ يَشتـهِرُونَ بأَكْلِ أَموَالِ النَّاسِ بالـبَاطِلِ، وتأصَّلَتْ هَذه الخصْلَـةُ فِيهِمْ بِحيْثُ أَصْبحتْ سِـمَةً عـامَّةً فى المجتمع كُلِّه يَسْتَحِقُّ أَنْ يَأتِيهُم رَسولٌ مِنَ اللهِ، يَدْعُوهم إِلَى تَرْكِهَا، وَالتَّخَلُّصِ مِنْهَا.

وكَانَ هَذا الرَّسولُ هوَ شعيبٌ عليَهِ السَّلامُ.

بَعثهُ اللهُ فِيهم، فقَامَ يَدْعوهُمْ إِلَى اللهِ، ويُذكِّـرهُمْ بنعْمته عَليهِمْ، إِذْ كَانُوا قَليلاً، فزَادهُمْ عَـددًا، وكَانَوُا فقرَاءَ فـأَعْطاهُمْ مِنَ المالِ مَايَزِيدُ عَنْ حَاجَـتِهمْ، وكَانُوا ضُعَـفَاءَ فَأَضْفَى عَليهم منَ القُوةِ مَا يجعَلُهمْ سُعداءَ آمِنينَ لاَيَخافُونَ بَطْشَ الدَّهرِ، وَلاَ تَصرُّفاتِ

الأيَّام. وكلُّ هذه نِعَمٌ تَسْتَحِقُّ أَنْ يَحمـدُوا اللهَ عَلَيْهَا، وَيْشكُرُوا لَهُ الـفَضْلَ والعطَاءَ، وَلكنَّهمْ كَانُوا مِنَ الجَاحِدينَ.

كَانَ شُعَيْبٌ يُخيفُ قومَهُ أَهْلَ مدَينَ مِنْ نِقْمةِ اللهِ وَعَذابِه، وَلكنَّهمْ كَانُوا يَسخرُونَ منهُ، وَيَسْتهزِئُونَ بِدَعوتِهِ، مَاذا يريدُ منهمْ ذلكَ الرَّجُلُ؟ لَـئِنْ كَانَ صَالحًا عَابدًا مُصليًّا، فَمَا شَأْنُهمْ بصَلاحِهِ وعِبادتِهِ وصَلاتِه؟ وَهَلْ هَذهِ الأَخْلاقُ الَّتى يتَّصِفُ بَها تُجْبِرهُمْ عَلَى أَنْ يُغَـيِّروُا عَادَاتِهـمْ، أَوْ يتركُوا طَـرِيقًا يَسـيرُونَ فِيـهَا مُنْذُ أَنْ وُلِدُوا وَنَـشَأُوا عليَـها، وَتَأَصَّلَتْ فِى نُفُوسِهِمْ، وَوَرِثُوهَا عَنْ آبَائِهمْ وَأَجْدادِهمْ؟

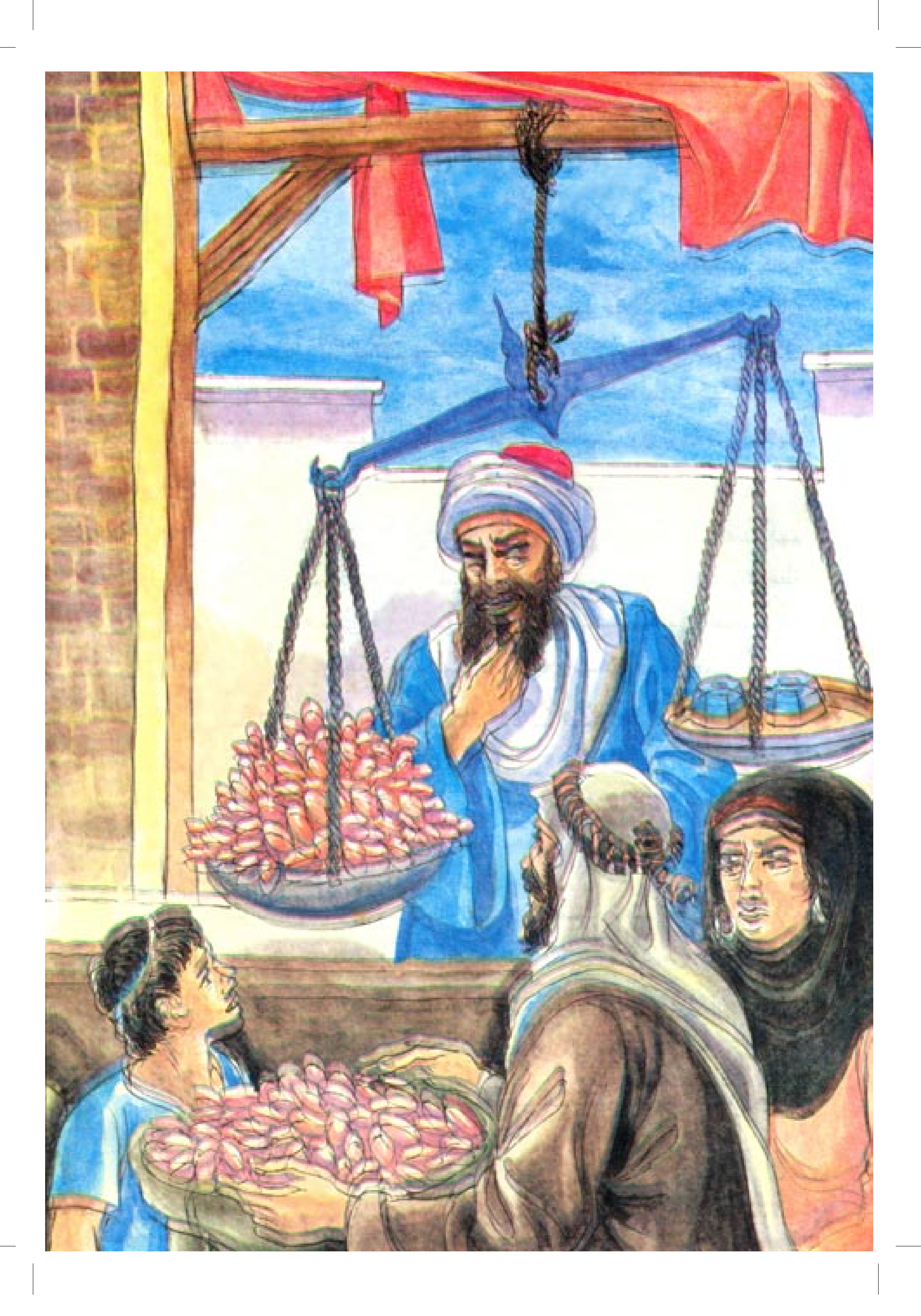
وَلَمْ يَزِدْ شُعيْبٌ إلاَّ تَلَطُّفًا فِى دَعْوَتِه، فَلَمْ تَبْـدُ منهُ قَسْوةٌ، ولَمْ يُظهِرْ لَهمْ جَفْوةً، بَلْ تَقرَّبَ إِلـيْهِمْ أكثَـرَ وَأَكثَـرَ، فَكانَ يَدْعُو إِلَى سَبـيلِ اللهِ بالحكْمةِ والمَوْعِظَـةِ الحَسنَةِ، ويجَادِلُ قَوْمَهُ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يَسْـتميلَهُمْ بلِيِّنِ القَوْلِ وَرِفْقِ المعَامَلةِ، فَهمْ أَهْلُهُ وَأَحبَّاؤهُ، لاَيُريدُ لَهمْ إلاَّ النَّجاة والصَّلاحَ والفَلاحَ.

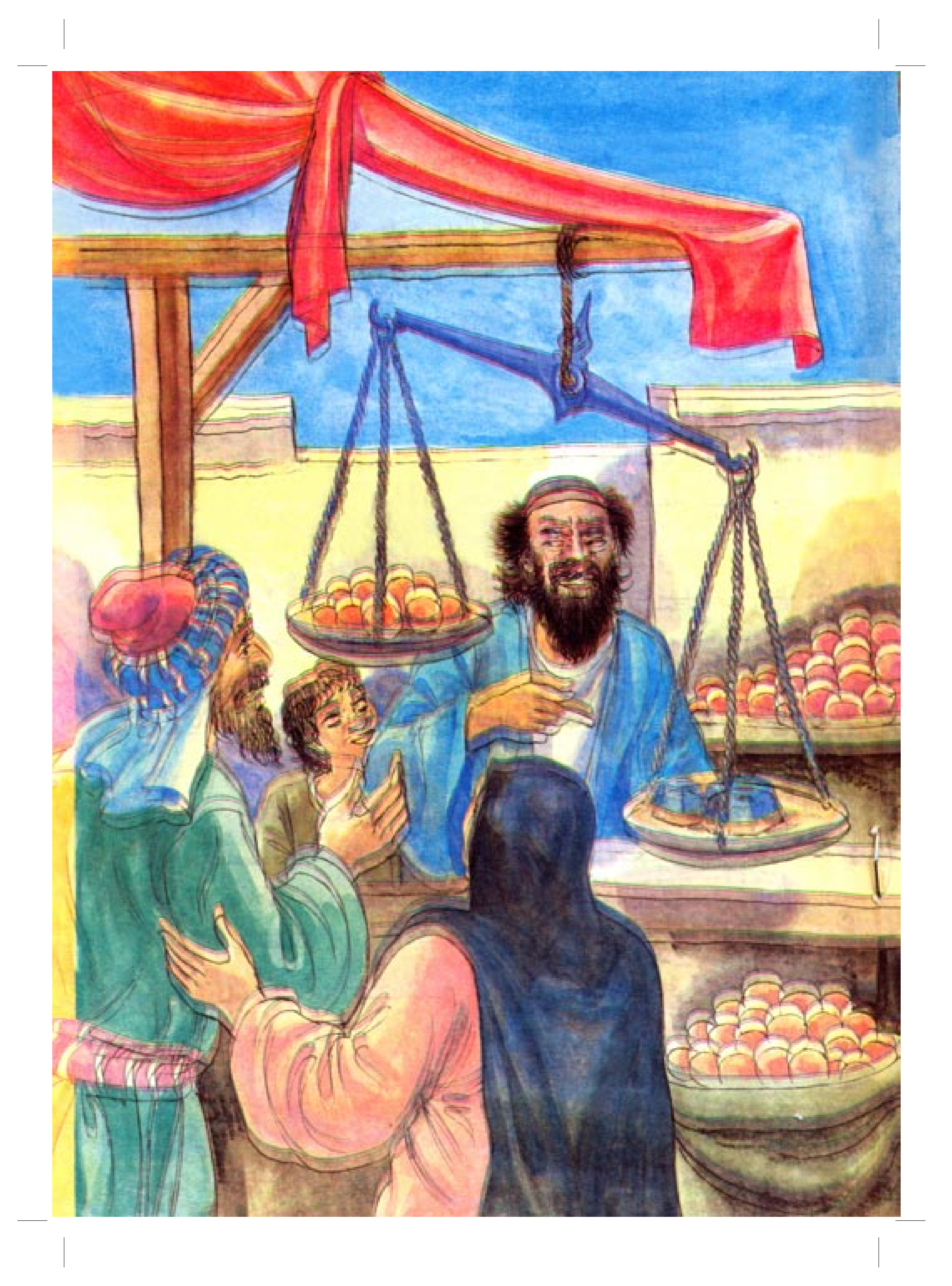
وسكتَ الوَالِدُ هُنيهةً، ثُمَّ قالَ: لَقدْ ذَكرنَا قِصَّةَ شُعْيبٍ مِنْ قَبْلُ، فَهلْ يمكنكُمْ أَنْ تَخْتبِرُوا ذَاكرتَكُمْ، وتُكمِلوُا بَعْضًا مِنْهَا؟

قالتْ إِيمَانُ: لِيَـأْذنْ لِى أَبِى بأَنْ أَذْكُرَ شَيـئًا مِمَّا حـدَثَ بَيْنَ شُعيبٍ عليْـهِ السَّلاَمُ وَقومِهِ أَهْلِ مَدْينَ.

قالَ الوالِدُ: تَفضَّلِى، بَاركَ اللهُ فيكِ، وعلَّمكَ ما لمْ تكُونِى تَعْلَمينَ، وَأَفَادكَ بِمَا تَعْلَمينَ، وجَعَلكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لوَالِديْكِ، وَلمنْ يَلُوذُ بِكِ منَ المؤْمنِينَ.

قالتْ إيمانُ: بَعْدَ أنْ سَمعْتُ هذهِ القِصَّةَ مِنْكَ يَاأَبِى، أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْتزِيدَ مَعْلوماتٍ عَنَهَا، فَقرَأْتُ فِى كِتَابِ قَصصِ القُرآنِ مَا قَالَ مُؤلفُوهُ:





لَمَّا أنسَ شُعيبٌ مِنْ قومِهِ ميلاً إليْهِ، وظَنَّ أنَّ آذانهم تفتَّحتْ لسمَاعِ قَوْلِه، أَوْضحَ لهمْ أَنَّ ظُهورَ البَيِّنةِ لَهُ، وكَثرةَ نِعَمِ اللهِ تَحولاَنِ بَيْنَهُ وبينَ الانسيَاقِ إلى طَرِيقهِمْ، والاندفَاعِ فِى غَيِّهِمْ. ثُمَّ أعلَنَ إليَهِمْ أَنَّه قَدْ أُوحِيَ إليه بِالهُدَى، وأُرسِلَ بالحقِّ، وجاءهمْ مِنَ اللهِ بالرَّحمةِ، علَى أنَّهُ لَنْ يُكرِهَهُمْ علَى اتِّباعِ دَعْوتِه، ولاَيَأمرُهُمْ بِشَىءٍ إلاَّ إذَا كَانَ يَرضَاهُ لِنفْسِه، ثُمَّ هُو لا يَطْلُبُ مِنهمُ أجْرًا علَى هَدِيهِمْ ولاجزاءً علَى إِرْشَادِهمْ، بَلْ يُريدُ إِصْلاحَ أَمْرِهمْ مَا استَطاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً.

قَالَ لهمْ: إِذَا كَانتْ ذُنوبُكمْ قَد كَثُرتْ، ومَفاسِدُكُمْ قَدِ انْتشَرتْ، وسَيئاتكمْ قَدِ اشْتهرَت، فَلاتَيْأَسُوا مِن رَحمةِ اللهِ، فَإنَّ التَّوبةَ تَقْطَعُ مَا كَانَ قَبلَها مِنْ خطايَا، وَالحَسنَاتِ يُذهبْنَ السَّيِّئَاتِ، وَاللهُ هوَ الغَفَّارُ التَّوابُ الرَّحِيمُ ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ**﴾.

قَالوُا: لاَ نفهمُ كَثيرًا مِنْ قَولِكَ، لأَنهُ ليسَ لكلاَمِكَ سَبِيلٌ إلَى قُلوبِنَا، ولاَ مَنْفَذٌ إلَى عُقُولِنَا، فَعَلَيْكَ أنْ تكفَّ عَنْ إثَارَتِنَا، فَنَحْنُ فِى عِزَّةٍ ومَنَعةٍ، وأَنْتَ مُسْتضعَفٌ بَيْنَنَا، ولاَيَمنَعُنَا عَنْ إيذَائِكَ إلاَّمكَانةُ عشيرَتِكَ، وَحُرْمة قبيلَتِكَ ﴿**قَالُوا يَاشُعَيْبُ مَانَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**﴾.

وكَمَا كانَ الكَافِرُونَ يَقُولُونَ لمنْ يَأتِيهمْ مِنَ الأَنْبِياءِ ﴿**فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ هكَذَا قَالَ أَهْلُ مَدْينَ، لَقدْ كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ ونَسَبُوا إليه السِّحرَ والشَّعوذَة، وَتَحدَّوْهُ أَنْ يُسقِطَ عَليهمْ كِسَفًا مِنَ السَّماءِ،أَوْ يُنزِلَ عَليهمُ العذَابَ إنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ.

قَالَ الوَالِدُ: أَحْسَنْتِ يَابُنَيَّتِى، ولْتَترُكِى فُرصةً لأيمنَ كَىْ يُكملَ لَنَا مَايَعرِفُهُ عَنْ شُعيبٍ وقَومِهِ.

قَالَ أيمنُ: شُكرًا لَكَ يَاوالدِى، أَعـرِفُ أَنَّ شُعيبًا علَيـه السَّلامُ لَمَّا يئسَ مِن هِدايةِ قَوْمـه إِلَى الحقِّ، اسْتنصرَ ربَّه عَلـيهِمْ، وَدَعاهُ أَنْ يَجـزِيَهُمْ عَلَى كفرِهِمْ وجُـحودهِمْ، ومَاداموُا هُمْ يَسْتعجِلُونَ العذَابَ، فما عَلَى شُعيبٍ إلاَّ أنْ يتضرَّعَ إِلَى اللهِ أَنْ يُعجلَ لهمْ مَايَسْتحقُّون مِنْ عقَابٍ.

لقدْ كَانُوا هُمْ عَـلَى الأَرْضِ بمطَامِحهمُ الأَرْضِيةِ، وكَـانَتْ أَبْوابُ السَّماء مُفَـتَّحةً لدعواتِ شُـعيْبٍ، لَيْسَ بَينهَـا وبَيْنَ اللهِ حجَابٌ، وكَـما أَرْسَلَ اللهُ الطُّوفـانَ عَلَى قَومِ نُوحٍ، وَالريحَ الصَّرصَرَ عَلَى قَوْمِ هودٍ، والهلاكَ والدَّمارَ لثَمود، كذَلكَ كَانَ العَذَابُ فِى انْتظارِ أَهْلِ مَـدْينَ، فَقـدِ استَـجابَ اللهُ دُعاءَ شُـعيبٍ وآزَرَهُ بنصـرِه، وابْتلاَهُمْ بـالحرِّ الشَّديدِ، فكَان لاَ يروى ظَمـأَهُمْ ماءٌ، وَلاَ تَحميـهِمْ ظِلاَلٌ، ولاَ تَقيهمْ بيُـوتٌ، ففرُّوا هَاربِينَ، وَخـرجُوا مِـنْ ديَارِهِمْ، وَلكنَّهمْ فَـرُّوا مِنْ قضـاءِ اللهِ وَقَـدرِه إِلَى قَضـاءِ اللهِ وَقدَرِه، لقَـد رأَوْا سحَابَةً ظَـنُّوا أنَّها سَتـقيهِمْ مِنْ وَهجِ الشَّـمسِ الَّذى كَادَ يُحـرِقُهمْ، وَحسبُوهَا سَـتدْفعُ عَنهمُ الحرَّ الَّذى يَشْويهِمْ، فَاجتْـمعُوا تَحتَها لِيَسْـتظلُّوا بظلِّها، حَتَّى تكَاملَ عَدَدُهُمْ، وكَانُوا جَميعًا تحتَـها وَهِيَ فَوقَهمْ كَالمظَلَّةِ، ولَمْ يَبْقَ وَاحدٌ منهمَ خَارِجَ نِطَاقِهـا، وإذا بَها ترَميهِمْ بشـرَرٍ، وكأنمَا أَطْلقَت المئاتِ مِنْ قَاذفـاتِ اللَّهبِ، ثُمَّ جاءتْ صَيْحةٌ مِنَ السَّـماءِ، وَأَحسُّوا أنَّ الأَرضَ تتزلزلُ تَحتَ أَقْدامِهِمْ، فَفـزعُوا لِهوْلِ مَارأَوْا، ولَمْ يكادُوا يحسُّونَ مَاحَلَّ بِـهمْ حَتَّى أُزهقَتْ أَرْوَاحُهمْ، وأصْبحوا جُثَـثًا لاَحراكَ بهَا، وصدَقَ اللّهُ وَعدَهُ، وحقَّ عليهِمْ قَوْلُ اللّهَ تَعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ أَمرُنَا نَجَّيْنَا شُـعَيْبًا وَالَّذينَ آمَنوُا برحْمَةٍ منَّا وَأَخَذَت الَّذينَ ظَلَموُا الصَّيْحـَةُ فَأَصبْحُوا فِى دِيَارِهِمْ جَاثمينَ* كَأَن لَمْ يَغْنَوْا فيهَا إِلاَ بُعْدًا لمدْينَ كَما بَعُدَتْ ثَمودُ**﴾.

قالَ الوالدُ: أَحْسَنْتَ ياوَلَدى، لَقدْ رأَى شُعيبٌ مَـاحَلَّ بقوْمه فَأَعرَضَ عَنْهُمْ يُثقلُه الحزْنُ عَلَى مَـا أَصابَهمْ، وَلكنَّه ذَكرَ كُـفْرهُمْ باللهِ، وتَسفـهَهُمْ لرأْيِه، وَاسْتـهزَاءَهُمْ بمَنْ

آمنُوا معَهُ، ومُخـالَفَتَهمْ نَصيحَتهُ، فـخَفَّفَ ذلكَ مِنْ حُزْنِه، وَتولَّى عَنْهمْ **﴿وَقالَ يَاقَوْمُ لَقدْ أَبْلغتكُمُ رِسالاَتِ ربِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فكيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كافِرينَ﴾**.

ولكنْ لمْ يزَلْ فِى عُـمرِ شُعْـيبٍ بَقيَّـةٌ، وَهُو نَبِىٌّ رسُولٌ عَليْهِ أَنْ يُبـلِّغَ رسالَةَ رَبِّهِ مَادامَ بِهِ رَمَقٌ مِنْ حَياةٍ، فَلْيَنْتقِلْ إِلَى أَصْحـابِ الأَيْكةِ، لعلَّهُ يجدُ عندَهُم آذَانًا صَاغِيةً، أَوْقُلُوبًا تَسْتَجِيبُ لِنداءِ الحقِّ، إِذَا مَادعَاهَا اللهُ لِما يُحيِيها، وَهُنَاكَ كَانَتْ لَهُ قِصةٌ أخْرَى.

ذَهَبَ شُعَـيْبٌ علَيهِ الـسَّلامُ إِلَى أَصْحـابِ الأيْكةِ، وَالأَيْكَةُ هِىَ الشَّـجرُ الكَثـيرُ الكَثيفُ الْمُلتَفُّ، أَى الحديقةُ ذَاتُ الأَشْجارِ وَالثِّـمارِ، ويَقولُ المفسرُون أَنَّ أغْلبَ أَشْجارِ هَذَا المكانِ كَانَ مِنْ شَـجَرِ الدُّوم، وكانَتْ قَـرِيبًا مِنْ مَدينَ، وكَـانَتْ دَعْوةُ نبى اللهِ لَهمْ هِىَ الدَّعوةُ نَفْسُهَا الَّتِى دعَـا بِهَا فِى أَهْلِ مَدْينَ مِنْ قَبْلُ، أَنَّه لا إِلهَ إلا اللهُ لاَشَرِيكَ لَهُ، هُوَ مَالكُ الكَوْنِ ومَافِيهِ، وَهُوَ مَالكُ الأَمْوالِ وَمنْ يَمْـلكُونَهَا، وَإِنَّما الإِنْسانُ مُستخَلفٌ فِى مَالِ اللهَ فَقَطْ، يَنْبغـى أَنْ يَجمعَهُ مِنَ الحلاَلِ بالطُّرقِ المبَاحَةِ الَّتـى يسَّرَهَا اللهُ لعَبادِه، وأَنْ يُنْفقَـهَا فِى الطُّرقِ المشْـروعَةِ فى قـضَاءِ حَاجَـاتِه الُّدنْيويَّةِ، وَضَـرُورِيَّاتِه الحيَـاتِيَّةِ، ويَتصدَّق منهْا بِمَـا يَقْدِرُ عَليه مِنْ صَدقةٍ تُطعِمُ الجائعَ أَوْ تكسُو العَـارِىَ، أَوْ تقُومُ بتَربيةِ يَتيمٍ، وأَنْ يجاهِدَ فى سبيلِ اللهِ لإعْـلاءِ الحقِّ وَإِزْهاقِ البَاطِلِ، وَإِذَا كَانتَ التجارَةُ بالمالِ ذاتَ رِبحٍ يُغْنِى صَاحِبَهُ، فَـمَا أحسنَها وأجَملهَا وأربَحَهـا إِذَا كَانَتْ تجارَةً معَ اللهِ تَعالى يَنْتظِرُ الإنْسانُ رِبحَـها عندَ اللهِ فى الآخَرةِ **﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ* إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾** واقـرأوا يَا أبنائى قَولَ اللهِ تعـالىَ: **﴿يَاأَيُّهـا الَّذينَ آمَنُوا هَلْ أَدلُّكُمْ عَلَى تجارَةٍ تُنْجيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ باللهِ وَرسُولِه وَتُجَاهِدُونَ فِى سَبيلِ اللهِ بِأَمْوالِكمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكمْ خَيْرٌ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيَدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**.



لَقدْ كَانتْ هَذه دَعْـوةُ الأَنبيَاءِ جَميعًـا، كَمَا كَانَتْ دَعْوةُ شُـعَيْبٍ إِلَى أَهْلِ مَدْينَ، وبَعْدهُمْ إِلَى أَصْحـابِ الأيْكة، إِذْ قَالَ لَهمْ ﴿**أَلاَ تَتَّقُونَ**﴾ أَلاَ تَخافُـونَ اللهَ فِى أَنْفُسكمْ وَفِى أَمْوَالِكُمْ فَـتكونُوا مِنَ القَانعينَ الذين يُرضِـيهُمُ الحلاَلُ ويَكْفِـيهُمُ القَليلُ مَادَامَ طَيِّـبًا خـاليًا مِنَ الحَـرامِ الممقُـوت عِنْد اللهِ وعِندَ النَّاسِ ﴿**إِنِّى لَكُمْ رَسُـولٌ أَمِينٌ**﴾ بَعَثَنِى اللهُ إِلَيْكُمْ، لأَدُلَّكمْ عَلَى طَرِيقِ الرَّشَادِ وأَنْصَحُ لَكُمْ بِمَا يَنْفَعُ البلاَدَ، ﴿فَاتَّقوُا اللهَ وأَطِيعُون﴾ فِيـمَا أَدْعُوكمْ إِلـيْهِ إِنَّما هِىَ دَعْـوةُ اللهِ، وَاللهُ يَدعُو إِلَى الحقِّ وَإِلَى دَارِ السَّـلامِ، ولَقدْ جِئتكُمْ أَدْعُوكمْ إِلَى طَاعةِ اللهِ وَإِخْلاصِ العبَادةِ لَهُ لاَ أُرِيدُ منكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا، ولاَ أَطْلبُ مْنكُمْ أَجْـرًا عَلَى ذَلِكَ إِنَّما أَجْـرِى عَلَى اللهِ الَّذِى أَرْسَلَنِى إِلَيْكُمْ ﴿**أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلاَتَكُونُوا مِنَ المخسرينَ* وَزِنُوا بِالقسطَاسِ المُستَقيمِ**﴾ لا تأخذوا أَكْثَرَ مِنْ حَقكِّمْ، ولاَ تَدْفعُوا للنَّاسِ أَقَلَّ مِنْ حُـقُوقِهِمْ ﴿**وَلاَ تَبخَـسَوُا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْـثَوْا فِى ٱلأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ لأَنَّ الخيانَةَ فِى الكَيْلِ والميزَانِ هِىَ قِمَّةُ الْفَسادِ فِى ٱلأَرْضِ.

ويقولُ المفـسرونَ أن أهلَ مَدينَ وَأَصْـحابَ ٱلأَيْكَةِ كَـانَ فيهِمْ خـصْلَةٌ أخْرَى مِنْ خِصالِ الخِيَانَةِ هِىَ قَطْعُ الدَّنانيرِ والدَّراهِمِ، إِذ كَانُوا يَقْـرِضُونَ أَطْرافَ الدَّنانيرِ الصَّحيحةِ مِنَ الذَّهبِ أَوِ الدَّراهِمِ الصَّحِيحَـةِ مِنَ الفِضَّةِ، وَيَحْتفظُونَ بالقُراضةِ يَبِيـعُونَها وَيَرْبَحُونَ ثَمنهَا، وَفِى الوَقْت نَفْسه يَتَعَامَلُونَ بالدنانيـر وَالدَّراهِمِ الَّتى قَطعَوُا بعضَها عَلَى أَنَّها قِطعٌ سَليمَـةٌ، وَهَذَا أَيْضًا مَـفْسدَةٌ مِنَ المفَـاسِدِ تُشْبِـهُ تزييف قِطَعِ العُملةِ فِـى زَمَانِنَا، وَهذه الطَّريقَةُ أَيْضًا مِنْ بَخْسِ النَّاسِ أَشْـيَاءَهُمْ، لِذَلكَ كَانَ شُعَيْبٌ علَيـه السَّلامُ يكرِّرُ عَليهِمْ مَقالَته ﴿**وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُـمْ**﴾، ﴿**وَاتَّقُـوا الـذى خَلَقَكُمْ وَالجبلَّةَ الأَوَّلِينَ**﴾ فَاللهُ هُوَ الذى خلَقَ أَبَاكُمْ آدمَ، وَهُوَ الَّذى خَلَقَ كُلَّ الأَجْـيَالِ الَّتِى سَبَـقَتْكُمْ إِلَى هذه الحـيَاةِ الدُّنَيا، وَبيدِهِ نَواصيكُمْ، ونَافذٌ فِيكمْ حُكمُهُ، فَإِلَى أَيْنَ تَفرونَ مِنْهُ؟

﴿**قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمسَحَّرِينَ**﴾ وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تَأْكُلُ الطَّعامَ وتَمْشِى فِى الأَسَـواقِ، وَيَجرِى عَلَيْكَ مَـايَجـرِى عَلَى كُلِّ الخلق، ﴿**وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ فِى دَعْواكَ التَّى تدَّعِيها بأَنَّكَ رسُـولُ اللهِ، فَإِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللهِ حَقًّا ﴿**فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ**﴾ وَأَنْزِلْ بِنَا العذابَ الذي تُهَـدِّدُنَا بِهِ. وَهَذَا كَانَ جَوابَ كَثِـيرٍ مِنَ المكذِّبِينَ لِلرسُّلِ، إِذْ يُجَابِهُونَهُمْ بِهَذه الكَلِمَاتِ، إِنْ كُنْتُمْ صَـادِقِينَ حَقًّا،فَهاتُوا العَذابَ، وَادْعُوا ربَّكُمْ الَّذِي تدعوننا إِلَى عِبَادَتِهِ أَنْ يَنْصرَكُمْ عَلينَا وَيُهْلِكَنَا كَمَا تَدَّعُونَ.

قَـالَ شُعَـيبٌ: رَبِّى أَعْلَمُ بِمَـا تَعْمَلُونَ. إِنَّمـا أَنَا رَسُـولٌ، وَمَاعَلَى الرَّسُـولِ إِلاَّ البَلاَغُ، وَالأَمرُ للهِ مِنْ قَبلُ وَمِنْ بَعْدُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يُجَازِيَكُمْ، وَيُصِيبَكُمْ بِعَاقِبَةِ تكذيبكم، إِنْ اللهَ لاَ يهْدِى الْكَاذِبِينَ.

ولـمَّـا طَالَ الحِوَارُ وَالجَـدلُ، وَأَصَرَّ أَصْـحابُ الأَيْكَةِ عَلَى التكذيب، كَـانَ لاَبُدَّ لِلحقِّ أَنْ يَنْتَصِرَ، وَلِلباطِلِ أَنْ يَندحر، ﴿**فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّه كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ وكمَا عَاقَبَ اللهُ أَهْلَ مَدْيَنَ كَانَتِ العُقُوبةُ أَيْضًا لأَصْحابِ الأَيْكَةِ، إِذْ حبسَ اللهُ عنهمُ الرِّيحَ سَبْعة أَيَّامٍ، وَسَلَّطَ عَليهمُ الحرَّ حـتَّى أَخَذَ بِأَنْفَاسِهِمْ، وَلَمْ يَنفعْهمْ ظِل ولاَ مَاءٌ، فَكانُوا يَدْخلونَ الأسراب أَىْ ما يشـبهُ الأنفاقَ ليبتردوا فِيهَا، فـيجدُوهَا أَشَدَّ حرًّا مِنَ الظَّاهِرِ، فهرَبَوا إِلَى البريَّةِ، فأَظَلَّتهم سَحَابَةٌ، وَهِيَ الظُّلَةُ فوجَدُوا لهَا برْدًا ونَسمًا، فَأَمْطَرتْ عَليهِمْ نَارًا فاحْترقُوا.

قَالَ المفسـرُونَ بَعثَ اللهُ شعيبًا إِلَى أُمـتَيْنِ، أَصْحابُ مَـدينَ وَأَصْحابُ الأيْكةِ، فَأهلكَ اللهُ أَصْحـابَ الأَيْكةِ بالظُّلَةِ، وأَمَّا أَصْحابُ مـدينَ فصَاحَ بهِمْ جبرِيلُ صـيحةً فهلكُوا أجْمعِينَ ﴿**إِنَّ فِى ذلك لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهمْ مُؤمِنِينَ**﴾.

توقفَ الوالدُ عن الحديثِ لحظاتٍ، ثُم قال: هكذا تترك قصةُ شعيبٍ عليهِ السَّلامُ مع من أرسل إليهم سواء من أهلِ مدين أم أصحابِ الأيكةِ، الأثر فى نفسِ كُلِّ تاجرٍ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، ويعلمُ أنهُ مُلاق ربَّه، فسائله عنْ مالِهِ منْ أيْنَ اكْتسبَهُ وفِيمَ أَنْفقَهُ.

وتبقى عَلَى مَرِّ العُصُورِ بيِّنَةً معْجزةً، وآيةً واضِحةً، لهؤلاءِ الَّذينَ يأكُلُون أموَالَهمْ بينَهمْ بالبَاطِلِ، ويَبْخسونَ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، بِأنَّ اللهَ يمْهِلُ ولا يُهملُ، وَوَيْلٌ للكَافِرينَ منْ عَذابٍ شَديدٍ، وَأنَّ الجدير بالمؤْمنِ باللهِ حقًّا، أنْ يكونَ مكسبُهُ طيِّبًا وربْحهُ حَلالاً، وألاَّيكونَ منَ المطففين، ثُمَّ لاَ يَنْسَى أن التَّطفيفَ لا يكونُ فِى المكْيالِ والميزَانِ فَقطْ، بَلْ قَدْ يكونُ التَّطْفِيفُ فِى كلِّ معامَلاتِ النَّاسِ وسُلوكيَّاتهِمْ، حَتَّى فِى الكَلاَمِ، إنَّ هُناكَ أُناسًا يحبُّونَ أَنْ يُحمدُوا بمَا لَمْ يَفْعلُوا، فَيطْمحُونَ إِلَى أَنْ يُثْنِيَ الآخرونَ عَليهِمْ وَيَصفُوهمْ بالصِّفَاتِ الحميْدَةِ الَّتِى لَيْسَت فِيهمْ، ويمدَحُونَهم بما لاَ يَستحقُّونَ من المدحِ، وَفِى الوَقْتِ نَفْسهِ إِذَا تَحدَّثُوا هُمْ عَنِ الآخرينَ ذَمُّوهُمْ ووَصَفُوهُمْ بصِفَاتٍ خَبيثَةٍ لَيْستْ فِيهمْ، فَهذَا ياأبنائى نَوْعٌ منَ التَّطفيفِ الخفىِّ الَّذى يفعلُهُ النَّاسُ، وَلاَ يَحسبُونَ أنَّ اللهَ مُجازِيهمْ عَلَيْهِ، وَأَنَّ الكلاَمَ أيضًا لَه ميزانٌ كما أنَّ للأَشْياءِ ميزانًا، وَأنَّ اللهَ تعالىَ أعلمنَا أنَّ ما نقُولُه أيْضًا محسوبٌ علَيْنَا إذْ **﴿مَا يَلْفظُ منْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْه رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾** أَىْ مَلَكٌ يكتُبُه علَى الإِنسانِ فى كِتابٍ سوفَ يظهِرهُ اللهُ يومَ القِيَامَةِ، ويُقَالُ لهُ: **﴿اقْرأْ كتَابَكَ كَفَى بِنَفْسكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حسيبا﴾**.

وَلاَ يَغيبنَّ عنِ الإِنَسانِ فِى كُلِّ لحظةٍ منْ حيَاته هذه الحقيقَةُ، ولْيَعُدْ دَائمًا إلَى كِتابِ ربِّهِ ويَقرأْ تِلكَ القَصصَ الَّتى قصَّها عَلَيْنَا رَبُّ العالمين، لتكونَ هُدًى للمؤْمنينَ فِى

كُلِّ العُـصورِ، هَؤُلاَءِ الَّذينَ إذَا ذُكـر اللهُ وَجِلَتْ قُلوبُهمْ وإذَا تُليَتْ عليـهمْ آيَاتُهُ زادَتْهمْ إيمانًا وَعَـلَى ربِّهمْ يتوكَّلونَ، ربَّنا علَيْكَ توكلْنَا وإلـيْكَ أَنبْنا، وإليكَ المصيـرُ، واقرأوا يَاأَبْنائي تلكمُ الآيَاتِ مِنْ سُورةِ الشُّعراءِ.

أعوذُ باللهِ منَ الشَّـيطانِ الرَّجيم، بِسمِ اللهِ الرَّحـمنِ الرَّحيمِ ﴿**كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٩٠)** ﴾.

صَدَقَ اللهُ العظيمُ

وإلىَ اللِّقاءِ يَاأبنائى فى القِصّةِ التَّالِية(٦٨) وعُنْوانُها: (**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**).

أسئلة القصة

س ١ ـ أَيْنَ كانَ يَعيشُ نبَيُّ الله شُعَيْبٌ، وَإِلَى أَيْنَ انْتَقَل بَعْدَ ذَلِكَ؟

س ٢- لِمَاذا لَمْ تقل الآيَاتُ: إذْ قَالَ لَهمْ أَخُوهمْ شُعُيْبٌ، وقَالَتْ: إذِ قَالَ لَهمْ شُعَيْبٌ؟

س ٣- هَلْ أَتَى أَصْحابِ الأيْكةِ رُسُلٌ قَبْلَ شُعَيْب علَيهِ السَّلامُ؟

س ٤- مَاهِيَ الأَفْعَالُ السَّيِّئةُ الَّتِي كَانَ يَفعلُها أهْلُ مدينَ وَ أَصْحابُ الأيْكةِ؟وكَيفَ كَانُوا يُزَيِّفُونَ الدَّنانيرَ والدَّراهمَ؟

س ٥- إلامَ كَانَ شُعُيْبٌ علَيهِ السَّلامُ يَدْعُو قومَهُ وبِماذَا أَجَابُوهُ؟

س ٦- هَلْ كَانَ شُعُيْبٌ علَيهِ السَّلامُ يَطْلبُ أجراً عَلَى دَعوتهِ، اْذكرِ الآية التيِ تُؤيِّدُ إجَابَتَكَ؟

س ٧- مَاذَا كانتْ عَاقبةُ أَصْحابِ الأيْكةِ، وَمَا العِبْرةُ فِى هَذه القِصَّةِ؟

س ٨- هَلِ التَّطفيفُ لاَ يكونُ إلاَّ فى الكيْلِ والميزَانِ؟ اْذكرْ أمثلةً أخرَى للتطفيفِ.

س ٩-فِى القرآنِ آيات أخرىَ غير قصَّةِ شعيْبٍ تدعُونَا إلَى إيفاءَ الكيْلِ والميزانِ، اذْكرْ أمثلةً منْها.

س ١٠- بماذَا تَوعَّدَ اللهُ المطَفِّفينَ، وبماذا وَصَفَهمْ، وهلْ يكونُ إيمانُهمْ كاملاً، اكتبْ موضُوعا منْ إنشَائك فى عَشرةِ سُطورٍ تحذر الناسَ منْ هذِهِ الصِّفَةِ الذَّميمَة.

درس النحو

فِى هَذَا الدرسِ نذكرُ نوعًا منَ النواسخِ الَّتى تُغيِّرُ الحكمَ الإعرابِىَّ للمبتدأ والخبرِ، وهُو فَصْلُ «ظَنَّ وأخواتِهَا» وَهِىَ عَشْرَةُ أَفْعالٍ، يَنْصِبُ كُلٌّ مِنهَا المبتدأَ والخبرَ مَعًا، ويكونَانِ مفعُولَيْنِ يصبحُ المبتدأُ مفعولاً بِهِ أَوَّلَ والخبرُ مفعولاً به ثانيًا، فمثلاً إِذَا قُلْنَا: المالُ نَافِعٌ، نُعْربُ كلمةَ المالُ علَى أنهَا مبتدأ مرفوعٌ بالضمةِ، فإذَا أدخلْنا علَى الجملةِ كلمةَ ظنَّ أَوْ إحْدى أخواتِهَا، فقلْنَا مثَلاً: رَأيتُ المالَ نافعًا، فإنَّنا نعربُ كلمةَ المال مفعولاً أولَ منصوبًا بالفتحةِ، وكلمةَ نافعًا مَفعولاً ثانيًا منصُوبًا أيضًا بالفتْحةِ، وَهكذَا فِى بَاقِى أَفْعالِ الفَصْلِ.

أَمَّا هذه الأَفعَالُ فهِىَ عَشرةٌ: ظَنَنْتُ، وَحَسِبْتُ، وَخِلْتُ، وَزَعَمْتُ، ورَأيْتُ، وعَلِمْتُ، ووَجَدْتُ، واتَّخذْتُ، وجَعَلتُ، وسَمِعْتُ.

نقولُ:

فى الأولِ: ظننتُ أخَاكَ طبيبًا.

وفى الثَّانِى: حَسبتُ إبراهيمَ مهندسًا.

وفى الثالثِ: خِلْتُ الربيعَ قادمًا.

وفى الرابعِ: زعَمتُ أحمدَ شُجَاعًا.

وفى الخَامِسَ: رأيتُ المجدَّ نَاجحًا.

وفى السادسِ: علمتُ العملَ مثمرًا.

وفى السابعِ: وجْدتُ التقْوى فلاحًا.

وفى الثامنَ: اتخذْتُ الكتَابَ صَدِيقا.

وفى التَّاسعِ: جَعَلتُ الصديقَ أَخًا.

وفى العاشرِ: سمعْتُ خَليلاَ يقْرأُ.

وفى هذا العاشر يكونُ الخبرُ جملةً فعـليةً فى محلِّ نَصْب، وإذَا كَانَ مفردًا يَجوزُ أنْ يكونَ حَالاً، كما إِذا قُلتَ: سمعْتُ خليلاً قارِئًا.

وهذه الأفعالُ العشرةُ تنقَسِمُ إلَى أَربعَةِ أَقْسامٍ:

القسمُ الأوَّلُ وهوَ أربَعَةُ أفعالٍ: ظَننتُ، وحسِبتُ، وخِلْتُ، وزَعمتُ. وهيِ تفيدُ ترجيحَ وقوعِ الخبر، بمعنىَ أنْ يكونَ الخـبرُ ممكنَ الوقوعِ وعدمِ الوقوعِ، ولكنَّ الأسلوب فِى الإتيانِ بهذِه الأفعَالِ يُفيدُ أنَّ وَقوعَ الخبرِ هوَ الغَالِبُ.

والقِـسمُ الثَّانِى، ثَلاَثَهُ أَفْـعالٍ: رَأَيْتُ، وعـلِمْتُ، ووَجدْتُ، وهِى تُفـيدُ اليـقينَ وتحقيقَ وُقوعِ الخبرِ.

والقسمُ الثالثُ فعلاَن: اتَّخذت وجَعلتُ، وهَما يفـيدانِ التصيير والانتقالَ، بمعنىَ أنَّ الخبـرَ كانَ على حالةٍ فتـحولَ إلى حالةٍ أُخْـرى، مثلُ اتخذتُ الكتابَ صـديقًا، أىْ جعلتـهُ وحوَّلته منْ مـجرد ورق مكتوب إِلَى حالةٍ أخـرى معنويَّة هى الصَّداقـةُ وشدةُ الالتصاقِ، ومثلُ جعَلْتُ الذهب خاُتمًا.

والقسمُ الرابعُ وهوَ فعلٌ واحدٌ: سَمعتُ، وهُو يفيدُ النِّسبة فى السَّمعِ، وقد ذكرنَا الأمثلةَ لكل فعلٍ من هِذه الأفعَالِ العَشرةِ، فأعدْ قراءة الدرسِ تَفهَمْ.

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

١- الفاتحة أم الكتاب
٢- خليفة الله
٣- يا بنى إسرائيل
٤- بقرة بنى إسرائيل
٥- هاروت وماروت
٦- بيت الله
٧- قبلة المسلمين
٨- وقاتلوا فى سبيل الله
٩- طالوت وجالوت
١٠- قدرة الله
١١- امرأة عمران
١٢- وإذ قالت الملائكة يا مريم
١٣- ابنة عمران
١٤- عيسى فى السماء
١٥- نصر الله
١٦- اختبار الله
١٧- حياة الشهداء
١٨- صلاة الحرب
١٩- الأرض المقدسة
٢٠- قابيل وهابيل
٢١- مائدة من السماء
٢٢- هل يستوى الأعمى والبصير
٢٣- إبراهيم يبحث عن الله
٢٤- بنو آدم والشيطان
٢٥- أصحاب الجنة وأصحاب النار
٢٦- نوح عليه السلام وقومه
٢٧- هود عليه السلام وقومه
٢٨- صالح عليه السلام وقومه
٢٩- لوط عليه السلام وقومه
٣٠- شعيب عليه السلام وقومه
٣١- موسى عليه السلام وفرعون والسحرة
٣٢- قوم موسى وقوم فرعون
٣٣- موسى عليه السلام وبنو إسرائيل
٣٤- بنو إسرائيل عبدوا العجل
٣٥- سفهاء بنى إسرائيل
٣٦- موسى عليه السلام والأسباط
٣٧- ضحية الشيطان
٣٨- دفاع عن الرسول
٣٩- وعد الله
٤٠- توزيع الغنائم
٤١- قوة الصابرين
٤٢- أسرى بدر عتاب وفداء
٤٣- يوم الحج الأكبر.
٤٤- يوم حنين.
٤٥- عزير آية الله للناس.
٤٦- الشهور العربية والأشهر الحرم.
٤٧- وإذ يمكر بك الذين كفروا.
٤٨- لا تحزن إن الله معنا.
٤٩- المنافقون فى المدينة.
٥٠- خذ من أموالهم صدقة.
٥١- مسجد التقوى ومسجد الضرار.
٥٢- المسلمون فى ساعة العسرة.
٥٣- الثلاثة الذين خُلِّفوا.
٥٤- والله يعصمك من الناس.
٥٥- القرآن يتحدى.
٥٦- وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر.
٥٧- يا بنى اركب معنا.
٥٨- يوسف عليه السلام فى غيابة الجب.
٥٩- يوسف عليه السلام السجين المظلوم.
٦٠- سر قميص يوسف عليه السلام.
٦١- لقاء الأحبة.
٦٢- ثم استوى على العرش.
٦٣- حتى يغيروا ما بأنفسهم.
٦٤- زمزم نبع الأنبياء.
٦٥- مقام إبراهيم مصلًى.
٦٦- ونبئهم عن ضيف إبراهيم.
٦٧- أصحاب الأيكة.
٦٨- فاصدع بما تؤمر.
٦٩- ويخلق ما لا تعلمون.
٧٠- وعلامات وبالنجم هم يهتدون.
٧١- رياحين البيوت شقائق الرجال.
٧٢- التى نقضت غزلها.
٧٣- سبحان الذى أسرى بعبده.
٧٤- فتية آمنوا بربهم.
٧٥- صاحب الجنتين.
٧٦- موسى عليه السلام والعبد الصالح.
٧٧- ذو القرنين.
٧٨- يا يحيى خذ الكتاب بقوة.
٧٩- واذكر فى الكتاب مريم.
٨٠- ذلك عيسى ابن مريم.
٨١- واذكر فى الكتاب إسماعيل.
٨٢- واذكر فى الكتاب إدريس.
٨٣- وكلهم آتيه يوم القيامة فردا.
٨٤- الوادى المقدس طوى.
٨٥- وجعلنا من الماء كل شيء حي.
٨٦- النار بردا وسلاما.
٨٧- حكمة سليمان عليه السلام
٨٨- وأيوب إذ نادى ربه.
٨٩- يونس عليه السلام فى بطن الحوت.
٩٠- سليمان عليه السلام وملكة سبأ.
٩١- موسى عليه السلام القوى الأمين.
٩٢- قارون وعاقبة المفسدين
٩٣- زيد... هو ابن حارثة.
٩٤- الأحزاب وجنود الله الخفية.
٩٥- جنات سبأ وجزاء الكفور.
٩٦- وفديناه بذبح عظيم.
٩٧- بيعة الرضوان وصلح الحديبية.
٩٨- جنة الدنيا ومتاع الغرور.
٩٩- أصحاب الأخدود والثابتون على الإيمان.
١٠٠- للبيت رب يحميه.

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث